

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمته المحقق

إذا كان الجميع في هذه المرحلة التي تمر بها أمتنا يتطلعون إلى جمع كلمتهم ،
وتصحيح مسيرتهم على هدى شريعة ربهم فعليهم أن يعودوا إلى ما تهباً للسلف من
عناية بالروح وفهم للدين وعمل به .

ولقد ترك لنا السلف الصالح آثار خير نهتدى بها ، ترشد التائهين ، وتردهم إذا
ضلوا الطريق .

وليس هناك أوفى ولا أكمل في مجال النصيحة من ، كتاب النصائح الدينية ، للإمام
أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى البصرى ، فقد جمع فيه العلم والحكمة ،
والتبصرة والهداية ، والتربية والتهديب ، والعلاج والوقاية ، والتقوى والاستقامة ،
والصبر والجهاد ، والفرار من فتنة الدنيا وزينتها .

ولقد خرج الإمام مسلم من حديث تميم الدارى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ
قال : « الدين النصيحة (ثلاثاً) ، قلنا : لمن (يارسول الله) ؟ قال : لله - عز
وجل - وكتابه ، ولسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

وإننا لنجد في كتاب النصائح تربية عملية وعلمية للنفوس ، وعلاجاً لأمراض
القلوب ، وغرساً للفضائل ، واقتلاعاً للردائل ، وقمعاً للشهوات ، وتدريباً على الصبر
والرضا والطاعات .

ويجد فيه القارئ مجاهدة للنفس ، ومكابدة لنزعاتها ، ومحاسبة دقيقة على
أعمالها ، وحفظاً للقلوب عن طوارق الغفلات ، وهواجس الخطرات ، وانقطاعاً عما
يعوق السالك في سيره إلى الله ، وزهادة في كل ما يلهى عن ذكر الله ، ويعلق بالقلوب
سواه .

وفيه معرفة لله ويقين ، وتوحيد لله وتمجيد ، وتوجيه إلى الله وإقبال عما سواه ،

وعكوف على عبادته وطاعته ، ووقوف عند حدوده ، وتعبد بشريعته ، وتعرض
لنفحاته وهباته .

فما أشد حاجتنا إلى مثل هذا الزاد الروحي السليم كي يتمكن كل منا من المحافظة
على شخصيته المؤمنة من أن تذيبها بهرجة الحضارة الفاتنة الخلافة ، فيسلم من
التردى في مساوئ أخلاق أهلها !

وهذا الكتاب - وإن كان قد سبق نشره - إلا أنه لم يسلم من التحريف أو
التصحيف ، فضلاً عن إهمال جانب تخريج أحاديثه وعزو الآيات إلى مواضعها من
سورها ؛ وتوضيح ما يحتاج إلى إيضاح .

وإذا كان المؤلف لم يذكر ترجمة لأبواب الكتاب فقد اخترت لكل باب من أبوابه
عنواناً يلقي الضوء على موضوعه وسوف يلمس القارئ مدى العناية التي أحيط بها
هذا الكتاب ، وهو بها جدير .

والله من وراء القصد ، نعم المولى ونعم النصير .



أولاً - الإمام المحاسبي (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م)

هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري المولد ، البغدادي المنزل والوفاة .

لم يعرف تاريخ ولادته ، أما وفاته فكانت ببغداد سنة ٢٤٣هـ .
وتضم أمهات المراجع من كتب التراجم ترجمته ماذاك إلا لأنه كان إماماً في الحديث والفقه والكلام ، وله في علومها عدة كتب ومصنفات ، وأكثرها في تهذيب النفس ، والزهد ، وآداب السلوك .

يقول مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ مخلوف : إن الإمام المحاسبي وأمثاله من الصوفية « إنما هم من أولئك الصوفية الصادقين في نهجهم ، وأقوالهم ، وعلومهم ، وتجد في رسائله : تربية للنفس ، وتهذيباً للطباع ، وعلماً صحيحاً لمن يطالعونها بدقة وعناية » .

إن المحاسبي من أشهر رجال مدرسة بغداد ، وجاء لقبه « المحاسبي » من أنه كان شديد المحاسبة لنفسه ، وتميز طريقته باحترام كبير للمنقول ، والبحث الدائب طلباً لكمال النفس .

ويقول الحافظ بن حجر « وفي نكته على ابن الصلاح » :

« والمحاسبي من أئمة الحديث والكلام » .

وقال العلامة المُنَاوِي في ترجمته : قال التيمي : « وهو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام » .

وقال غيره :

له المصنفات النافعة الجمّة بحيث تبلغ نحو مائتي مؤلف ، وكتبه في العلوم أصول لمن صنف فيها .

قال في الإحياء : « المحاسبي حبر الأمة في علم المعاملة ، وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس ، وآفات الأعمال ، وأغوار العبادات ، وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه » .

منهجه :

ويذكر الأستاذ « ماسينون » عن منهج المحاسبى النفسى الذى حمده الغزالى له :
إن المحاسبى سما بالتحليل النفسى إلى مرتبة لا نجد لها مثيلاً فى الفكر العالمى
إلا نادراً .

ومن ذلك قول المحاسبى : « إنه من الممكن الربط بين الفعل والنية » ويظهر
منهجه النفسى فى تقسيمه للناس حيث يقول : ورأيت منهم العالم بأمر الآخرة ، لقاؤه
عسير ، ووجوده عزيز .

ومنهم الجاهل فالبعد عنه غنيمة . ومنهم المتشبه بالعلماء ومشغوف بدينيه مؤثر
لها . ومنهم حمال علم منسوب إلى الدين ، ملتزم بعلمه التعظيم والعلو ينال بالدين
من عرض الدنيا . ومنهم المتشبه بالنسك ، متجر بالخير ، لا غناء عنده ، ولا بقاء
لعلمه . ومنهم حامل علم لا يعلم تأويل ما حمل . ومنهم منسوب إلى العقل والدهاء ،
مفقود الورع والتقوى . ومنهم متوادون .. على الهوى يتفوقون ، وللدنيا يتباذلون
ورياستها يطلبون . ومنهم شياطين الإنس عن الآخرة يصدّون ، وعلى الدنيا يتكالبون ،
وإلى جمعها يهرعون ، وفى الاستكثار منها يرغبون .

ففتقدت فى الأصناف نفسى ، وضقت بذلك ذرعاً ، فقصدت إلى هدى المهتدين
بطلب السداد والهدى ، واسترشدت العلم ، وأعملت الفكر ، وأطلت النظر ، فبين
لى فى كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة أن اتباع الهوى يعمى عن الرشد ،
ويضل عن الحق ، ويظيل المكث فى العمى .

ويقول الباحثون : إن المحاسبى كان التمهيد للمنهج الفلسفى للتصوف السنى
الذى فلسفه الغزالى .

إنه خفاً أول من وضع للبحوث النفسية مكاناً فى منهجه الذى أظهر فيه أنه من
الممكن تحقيق صلة بين أفعال الأعضاء الخارجية ونيات القلوب .

ومن يراجع القشيري والسلمى يجد اتفاقاً بينهما على أن المحاسبى أستاذ المدرسة
البغدادية الأصولية .

ويبدو أثر المحاسبى فى الغزالى واضحاً فعندما نذكر مخطوط « الوصايا »^(١)
للمحاسبى نجده يمهّد للغزالى فى منقذه من الضلال .
رحمه الله رحمة واسعة وجزاء عنا خير الجزاء .

(١) مخطوط الوصايا :- (لندن : ٢١٦ E) ويسمى النصائح أيها كما ذكر ماسينون فى مجموعة نصوصه .

مؤلفاته :

للإمام المحاسبي مؤلفات كثيرة منها :

- ١- الرعاية لحقوق الله عز وجل - طبع في أوروبا، ثم بمصر دون تاريخ .
- ٢- التوهم . طبع بمصر سنة ١٣٥٧هـ ثم بحلب ، وأصدرته مكتبة القرآن محققاً .
- ٣- رسالة المسترشدين ، وقد طبعت في حلب محققة .
- ٤- رسالة الوصايا أو النصائح وهي التي بين يديك .
- ٥- شرح المعرفة .
- ٦- آداب النفوس .
- ٧- بدء من أناب إلى الله تعالى .
- ٨- المسائل في الزهد وغيره .
- ٩- المسائل في أعمال القلوب والجوارح .
- ١٠- المكاسب والروح والشبهة وبيان مباحها ومحظورها ... إلخ . وقد أصدرتها مكتبة القرآن بعنوان الرزق الحلال .
- ١١- ماهية العقل ومعناه ، واختلاف الناس فيه .
- ١٢- مختصر كتاب فهم الصلاة . وقد أصدرته مكتبة القرآن محققاً .
- ١٣- البعث والنشور .
- ١٤- كتاب في الدماء .
- ١٥- رسالة المراقبة .
- ١٦- كتاب في التفكير والاعتبار .
- ١٧- التنبيه على أعمال القلوب في الدلالة على وحدانية الله .
- ١٨- كتاب العظمة .
- ١٩- كتاب القصد والرجوع إلى الله تعالى .
- ٢٠- كتاب الرضا .
- ٢١- فهم القرآن .
- ٢٢- فهم السنن .

طريقته في التأليف والتصنيف :

كان له في تدوين علمه وإيشاء تأليفه طريقة غريبة حكاها الحافظ أبو نعيم في ترجمته في الحلية فقال : « قبل الحيد كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا ويقول : اخرج معنا نُصحر - أى إلى الصحراء - فأقول له : تخرجني عن عزلتي وأمنى على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات ١٩ .

فيقول : اخرج معي ولا خوف عليك ، فأخرج معه ، فكان الطريق فارغ من كل شيء ! لا نرى شيئاً نكرهه ، فإذا حصلت في المكان الذي يجلس فيه قال لي : سلني فأقول له : ما عندى سؤال أسألك ، فيقول لي : سلني عما يقع في نفسك فتثال على السؤالات فأسأله عنها ، فيجيبني عنها للوقت ، ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتباً .

ثانياً - الكتاب

فهو كتاب « الوصايا » ويسمى النصائح أيضاً كما ذكر « ماسينون » في مجموعة نصوصه .

ويضم واحداً وأربعين باباً ، وهو لون فريد في النصائح يسير أغوار النفس الإنسانية ، ويتتبع خفاياها ، وخبايها بفراصة المؤمن ، وشفافية الناصح الأمين . إنه لا يقدم النصيحة من فراغ ، ولكنه يدرس ويبحث ويتأمل بطريقة سبق بها علماء الفراسة قديماً وحديثاً !

وعلى مدى واحد وأربعين فصلاً يواصل المحاسبي نصائحه التي تحمل معالم طريقته ، وخلاصة تجاربه مع من عرفهم وعرفوه .

وكيف لا وهو إمام التحليل النفسي بين علماء الإسلام وغيرهم . إن طريقته تتميز باحترام كبير للمنقول ، والبحث الدائب طلباً لكمال النفس ! . إنه حريص على أن يجنب الإنسان عوامل الانحراف التي تسبب له الاضطراب النفسي وازدواج الشخصية ! فهو يستقصي الداء في أصله ؛ فنراه في كتابنا هذا يسلط الضوء على سلطان المال ، داعياً الإنسان إلى تصحيح النية ، وإتقان العمل وصولاً إلى إتقان العبادة ؛ لتكون خالصة لله من شوائب الكسب المادى .

وإذا صحت النوايا صلح الإنسان أن يكون عالماً .. ولكن العلم والمال يتبعهما

حب المحمّدة ، والنفور من المذمة ، وكلاهما كفيل بهدم البناء الفكرى ! .
لكن إذا تخلص الإنسان من سلطان المال ، وصحت نيته فى أمور العبادة ، ورغب فى العمل من أجل الله ، وتخلص من سلطان العلم على النفوس صح له أن يكون إنساناً متمتعاً بالتكامل النفسى ، وسكينة النفس ، وراحة البال ، وطمأنينة خاطر ، صالحاً للعمل والعبادة دون غش ولا خداع ، ولا كبر ولا نفاق ! .
ويبدو من خلال متابعة نصائحه أن الأمر الأساسى فى نظره ليس إلا تصحيح النية ، ومراعاة حقوق الله تعالى الواجبة على الإنسان فى أنواع الأفعال الفردية أو الاجتماعية .
وإذا كان الدين النصيحة ، فإن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان .

وفى هذا الكتاب تتجلى النصيحة بأسمى معانيها ففيه النصيحة لله .. والنصيحة لرسوله .. والنصيحة لعامة المسلمين .
ولا يدرك قيمة الكتاب إلا من تتلمذ على المحاسبى وتلقى نصائحه باباً فباباً .
وسوف تجدنى - استكمالاً للإفادة منه - قد علقت عليه ما يزيده بياناً ونفعاً ، ووضوحاً وفهماً .

ولم يفتنى أن أعزو الآيات إلى سورها مبيناً موقعها منها .
وخرجت أحاديثه الشريفة .
كما قدمت للمؤلف ترجمة تشيد بذكره ، وتوضح منهجه وطريقته فى التأليف ولم يبق إلا أن أقدم عرضاً لما تضمنه الكتاب وها هو ذا بين يديك .

مخطوطات الكتاب

- (١) يوجد مخطوط الوصايا فى لندن برقم (٢١٦) E ويسمى النصائح أيضاً - كما ذكر ماسينيون فى مجموعة نصوصه .
- (٢) وتوجد فى دار الكتب المصرية ثلاث نسخ :
إحداها - تحت رقم (١٤١٦) تصوف ، وهى أصح النسخ وقد كتبت بخط جميل .
والثانية - تحت رقم (٣) ش وهى من مخلفات العلامة الشنقيطى وقد كتبت بخط مغربى .
أما الثالثة - فهى تحت رقم (٣٠) تصوف وهى ناقصة من آخرها .

الحمد لله الاول قبل كل شيء والخالق له الحمد لله الاخر بعد كل شيء
 والوارث له الحمد لله الظاهر على كل شيء والوكيل عليه الحمد لله
 الذي لا يورثه ولا يورثه ولا يحيط به من ورده وسئل الله جل
 العظمى عظم النبيين والارسل
 الزاهد الورع الحارث بن اسد الحارثي رحمه الله عنه
 لا غنى لنا بالمومنين وانا بيا لجامعة المريدين وصلى الله على محمد
 خاتم النبيين وآله وسلم فقد انتهى اليها ان هذه الامة
 تتفرق في اربع وسبعين فرقة منها فرقة تاجية والله اعلم
 بنا برحماكم ارايكم من عمرى انظر انتقال الامة والتفرق
 منهاج الواضع والسبيل الناصد والطلب من العلم والعمل واستد
 على طريق الاخرة تارة والاعمال وتفرقت في مذاهبها واقاديل
 فتفرقت من ذلك ما قد ركب ورايت اختلافا في جماعتها قد غرق
 فيه ناشئ كثير وسئل منه معصية قليلة ورايت كل صنف منهم
 يزعم ان النجاة في تبعهم وانا الهالك من خالدهم ثم رايت الناس
 اصنافا فمنهم العالم بالامر والاخرة لنا وعسير ووجوده عزيز
 ومنهم المجاهر بالبعد منه شينة ومنهم المنتسب بالعلماء
 مشغوف بدينه موثر له ومنهم خامل على منسوب الي الدين
 لا يهتم بعلمه التفصيل والعلوم يراي الدين من غير من الدنيا

لا يهتم بعلمه التفصيل والعلوم يراي الدين من غير من الدنيا

السائر الناس من بلاد بيرو والحساب ومن عظمته
 قال خير من الذكر اعلن وانا قوم فارغنا من جنات
 الذكر ولا تغفلوا بالسلامة شيئا ومكنا الله لنا والذكر
 استلنا منه جميع الحق اناسين يا رب العالمين
 وسئل الله على سيدنا محمد
 وعلى آله وصحبه



لا يهتم بعلمه التفصيل والعلوم يراي الدين من غير من الدنيا

مقدمۃ المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله الأول قبل كل شيء ؛ والخالق له ، والحمد لله الآخر بعد كل شيء ،
والوارث له ، والحمد لله الظاهر على كل شيء والوكيل عليه والحمد لله الباطن دون
كل شيء ، والمحيط به من ورائه ، وصلى الله على المصطفى خاتم النبيين وعلى
آله . قال الشيخ الإمام ، العالم ، الزاهد ، الورع ، الحارث بن أسد المحاسبى -
رضى الله عنه - نصحاً لإخوانه المؤمنين وتأديباً لجماعة المريدين ، وصلى الله على
محمد خاتم النبيين .

أما بعد :

فقد انتهى إلينا « أن هذه الأمة تفترق على بضع وسبعين فرقة : منها : فرقة
ناجية »^(١) والله أعلم بسائرهما ؛ فلم أزل برهة من عمرى أنظر اختلاف الأمة ، وأتمس
المنهاج الواضح والسبيل القاصد ، وأطلب من العلم والعمل وأستدل على طريق الآخرة
بإرشاد العلماء ، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء ، وتدبرت أحوال
الأمة ، ونظرت فى مذاهبها وأقاويلها فعلقت من ذلك ما قدر لى ، ورأيت اختلافهم
بحراً عميقاً قد غرق فيه ناسٌ كثير ، وسَلِمَ منه عصابة قليلة ، ورأيت كل صنيف منهم
يزعم النجاة فى تبعهم ، وأن الهالك من خالفهم ، ثم رأيت الناس أصنافاً :

فمنهم : العالم بأمر الآخرة ؛ لقاءه عسير ، ووجوده عزيز . ومنهم : الجاهل فالبعد عنه
غيمة . ومنهم : المتشبه بالعلماء ، مشغوف بدنياء مؤثر لَهَا . ومنهم : حامل علم منسوب
إلى الدين ، ملتمس بعلمه التعظيم والعلو ينال بالدين من عرض الدنيا . ومنهم : حامل علم
لا يعلم تأويل ما حمل . ومنهم : متشبه بالنساک مُتَجَرِّ بالخير لا غناءَ عنده ولا بقاءَ لعلمه ولا

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٣٣٢/٢ ، ١٤٥/٣ ، ١٢٠ ، عن أنس بن مالك ، وأبو داود فى سننه ، عن
أبى هريرة حديث رقم (٤٥٩٦ ، ٤٥٩٧) ، وابن ماجه فى سننه ، كتاب الفتن حديث رقم (٣٩٩٣) ،
والترمذى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر ، وقال : حديث مفسر غريب لا نعرفه ، انظر صحيح الترمذى
(١١٠ / ١٠) .

مُعْتَمِدٌ عَلَى رَأْيِهِ . وَمِنْهُمْ : مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَقْلِ وَالذَّهَاءِ^(٣) ، مَفْقُودُ الْوَرَعِ ، وَالتَّقَى .. وَمِنْهُمْ : مُتَوَادُّونَ ، عَلَى الْهَوَى يَتَفَقَّهُونَ ، وَلِلدُّنْيَا يَتَبَادَلُونَ ، وَرِيَّاسَتَهَا يَطْلُبُونَ .. وَمِنْهُمْ : شَيَاطِينُ الْإِنْسِ ، عَنْ الْآخِرَةِ يَصُدُّونَ ، وَعَلَى الدُّنْيَا يَتَكَالِبُونَ .. وَإِلَى جَمْعِهَا يُهْرَعُونَ وَفِي الْاِسْتِكْثَارِ مِنْهَا يَرْغَبُونَ^(٤) : فَتَفَقَّدَتْ فِي الْأَصْنَافِ نَفْسِي ، وَضَقَّتْ بِذَلِكَ ذِرْعاً ، فَقَصَدْتُ إِلَى هَدْيِ الْمُهْتَدِينَ بِطَلَبِ السَّدَادِ وَالْهُدَى ، وَاسْتَرَشَدْتُ بِالْعِلْمِ وَأَعْمَلْتُ الْفِكْرَ .. وَأَطَلْتُ النَّظَرَ .. فَتَبَيَّنَ لِي فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ أَنْ اتِّبَاعَ الْهَوَى يَعْصِي عَنْ الرَّشْدِ ، وَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَطِيلُ الْمَكْثَ فِي الْعَمَى فَبَدَأْتُ بِإِسْقَاطِ الْهَوَى عَنْ قَلْبِي ، وَوَقَفْتُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ مُرْتَاداً أَطْلُبُ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ .. حَذَاراً مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ .. وَالْفِرْقَةِ الْهَالِكَةِ ، مُتَحَرِّزاً مِنَ الْاِقْتِحَامِ .. قَبْلَ الْبَيَانِ ، وَأَتَمِّسُ سَبِيلَ النِّجَاةِ لِمَهْجَةِ نَفْسِي .

سَبِيلُ النِّجَاةِ : ثُمَّ وَجَدْتُ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ أَنَّ سَبِيلَ النِّجَاةِ فِي التَّمَسُّكِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ ، وَالْوَرَعِ فِي حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ .. وَجَمِيعِ حُدُودِهِ .. وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ .. وَالتَّأَسِّي بِرَسُولِهِ ﷺ .. فَطَلَبْتُ مَعْرِفَةَ الْفَرَائِضِ ، وَالسَّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَثَارِ .. فَرَأَيْتُ اجْتِمَاعاً وَاخْتِلَافاً .. وَوَجَدْتُ جَمِيعَهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الْفَرَائِضِ وَالسَّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرِهِ ، الْفَقْهَاءِ عَنِ اللَّهِ بِرِضْوَانِهِ ، الْوَرَعِينَ عَنِ مَحَارِمِهِ .. الْمُتَأَسِّينَ بِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .. وَالْمُؤَثِّرِينَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا .. أُولَئِكَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَسُنَنِ الْمُرْسَلِينَ .. فَاتَّخِذْتُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَّةِ هَذَا الصَّنْفَ الْمُجْتَمِعَ عَلَيْهِمُ وَالْمُوصُوفِينَ أَقْفُو آثَارَهُمْ وَأَقْتَبِسُ مِنْ عِلْمِهِمْ فَرَائِثَهُمْ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ .. وَرَأَيْتُ عِلْمَهُمْ مُنْدَرِجاً كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ »^(٥) وَهُمْ الْمُنْفَرِدُونَ بِدِينِهِمْ فَعَظُمَتْ مَصِيبَتِي لِفَقْدِ الْأَتْقِيَاءِ .. وَخَشِيتُ بَغْتَةَ الْمَوْتِ أَنْ يَفَاجِنَنِي عَلَى اضْطِرَابٍ مِنْ عَمَرِي لِاخْتِلَافِ الْأُمَّةِ .. فَانْكَمَشْتُ فِي طَلَبِ عَالَمٍ لَمْ أَجِدْ لِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ بُدْأً ، وَلَمْ أَقْبِرْ فِي الْاِحْتِيَاطِ ، وَلَا فِي النَّصِاحِ فَقِضَ لِي

(٣) الذَّهَاءُ : جُودَةُ الرَّأْيِ وَالْمَهَارَةُ .

(٤) فِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ : فَهَمٌ فِي الدُّنْيَا أَحْيَاءُ ، وَفِي الْإِعْرَافِ مَوْتٌ ، بَلِ الْإِعْرَافُ عَنْهُمْ مَنْكَرٌ ، وَالِاسْتَوَاءُ بَيْنَ (الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) مَعْرُوفٌ .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ : كِتَابُ الْإِيمَانِ حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٣٢) وَابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ : كِتَابُ الْفَتَنِ بِرَقْمِ (٣٩٨٧ ، ٣٩٨٨) وَالدَّارِمِيُّ فِي سُنَنِهِ (٣١٢/ ٢) وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٧٣/ ٤) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الزُّهْدِ حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٠١) ، (٢٠٢) ، وَالتَّطَبُّعِيُّ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ كَمَا فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ لِلْهَيْثَمِيِّ (٧/ ٢٧٨) .

الرءوف بعباده قوماً وجدت فيهم دلائل التقوى : وأعلام الورع ، وإيثار الآخرة على الدنيا .. ووجدت إرشادهم ، ووصاياهم موافقة لأفاعيل أئمة الهدى .. مجتمعين على نصيح الأمة .. لا يَرْجُونَ أحداً في معصية ، ولا يُقْنِضُونَ أحداً من رحمته ، يَرْضَوْنَ أبداً بالصبر على البأساء والضراء ؛ والرضى بالقضاء ؛ والشكر على النعماء ، يحبون الله تعالى إلى العباد بذكرهم أياديه وإحسانه ويحثون العباد على الإنابة إلى الله تعالى علماء بعظمة الله تعالى وعظيم قدرته .. وعلماء بكتابه وسنته ؛ فقهاء في دينه علماء بما يحب ويكره ، ورعين عن البدع والأهواء تاركين للتعقق والإغلاء .. مبغضين للجدال .. والمرء متورعين عن الاغتياب .. والظلم .. والرياء .. مخالفين لأهوائهم .. محاسبين لأنفسهم .. مالكين لجوارحهم .. ورعين في مطاعمهم .. وملابسهم .. وجميع أحوالهم .. مجانبين للشبهات .. تاركين للشهوات .. متجزئين^(٦) بالبلغة^(٧) من الأقوات متقللين من المباح .. زاهدين في الحلال .. مشفقين من الحساب .. وجلين من المعاد مشغولين برهم مزين^(٨) على أنفسهم من دون غيرهم .. لكل امرئ منهم شأن يغنيه .. علماء بأمر الآخرة وأهويل القيامة .. وجزيل الثواب .. وأليم العقاب .. ذاك أورثهم الحزن الدائم وأهم المصنى .. فشفغوا عن سرور الدنيا .. ونعيمها .. ولقد وصفوا من آداب الدين صفاتٍ وَحَدَّوْا للورع حُدُوداً ضاق لها صدر مثلى .. فتيين لى فضلهم واتضح لى نصيحهم وأيقنت أنهم العاملون بطريق الآخرة .. والمتأسون بالمرسلين فأصبحت راغباً في مذهبهم مقتبساً من فوائدهم .. قابلاً لآدابهم .. محباً لطاعتهم ، لا أعدل بهم شيئاً ولا أوثر عليهم أحداً .. ففتح الله لى علماً اتضح لى برهانه ، وأنار لى فضله ، ورجوت النجاة لمن اقتربه .. أو انتحله ، وأيقنت بالغوث لمن عمل به ، ورأيت الاعوجاج فيمن خالفه ، ورأيت الرزين^(٩) متراكماً على قلب من جهله وجحدته .. ورأيت الحجة العظمى لمن فهمه ورأيت انتحاله والعمل بحدوده واجباً على ، فاعتقدته فى سريرتى .. وانطويت عليه بضميرى .. وجعلته أساس دينى وبنيت عليه أعمالى وتقلبـت فيه أحوالى .. وسألت الله عز وجل أن يؤزغنى شكر ما أنعم به على وأن يقوينى على القيام بحدود ما عرفنى به .. مع معرفتى بتقصيرى فى ذلك وإنى لا أدرك شكره أبداً .

(٦) مكثفين .

(٧) البلغة : البلاغ ما يكفى من العيش .

(٨) زرى عليه فعله أى عابه . ومززين على أنفسهم أى يميون عليها ويفخرونها ومظها ازدراه .

(٩) الرزين : ما يحجب القلوب بفعل المعاصى فلا تلتن لذكر الله .